

مركز " بلسم " للعلاج من آثار الصدمات النفسية

مدينة سوسة - تونس

<http://www.arabpsynet.com/Associations/PsyTT/BalssamCenter.pdf>

لماذا أنشئ المركز؟

يشهد العالم موجة من العنف لم يسبق لها مثيل من قبل. يكفي أن نلقي نظرة على ما تبثه القنوات التلفزيونية، وما تتناقله شبكات التواصل الإجتماعي، لندرك خطورة وضعنا. لقد انتشرت صور العنف وامتدت حتى إلى ألعاب الأطفال. عرفت ظاهرة العنف، منذ بدء الخليقة، من خلال قصة ابني آدم، عندما قتل قابيل أخاه هابيل. وشهد القرن العشرون، حربين عالميتين، ذهب ضحيتها عشرات ملايين البشر. ولئن كانت النزاعات والتطهير العرقي الذي عرفه العالم بعد ذلك، أقلّ عنفا ودموية، إلا أنّ وسائل الدمار الذي توقّر عليها الإنسان، أصبحت أكثر ضررا وخطورة. ألا يتوقّر الإنسان اليوم على قنابل كيميائية وجراثومية، بإمكانه أن ينهي بها حياة مئات الآلاف من البشر في دقائق معدودة؟ لقد أصبح السلوك العدواني والإجرامي أشدّ خطورة وأكثر انتشارا من أيّ وقت مضى. وخلفت الأنظمة الشمولية والإستبدادية الآلاف من ضحايا التعذيب والصدمات النفسية، تنتقل مآسيهم من جيل إلى جيل، وتونس ليست استثناء في هذه المعضلة الإجتماعية. يكفي أن نستعرض أحداث العنف التي عرفها مجتمعنا خلال الثورة وبعدها، لندرك درجة الإحباط التي يعيشها التونسيون. فقد سبق أن أطلقت منظمة الصحة العالمية، في تقرير لها نشرته سنة 2005 ، صيحة فزع مدوية، بسبب ارتفاع درجة الإحباط والإضطراب النفسي التي يعيشها المجتمع التونسي. وهو ما يعكس حالة مجتمع وقع اغتصاب حقه في الحياة الكريمة. لذلك، فإنّ حالات الإنتحار حرقا، لم تبدأ مع حرق الشاب محمد البوعزيزي لنفسه يوم 17 ديسمبر 2010. لقد عرفتها تونس قبل ذلك بسنوات، لدى شريحة من الشباب ممّن نقل أعمارهم عن 14 عاما. نحن أمام مجتمع فقد بوصلته وقيمه. وظاهرة الإنتحار حرقا، ظاهرة غريبة عن مجتمعنا. وبيّنت الدراسات أنّ هذه الظاهرة قد اتسعت رقعتها، وأنّ المرور من التفكير فيها، إلى التنفيذ، أصبح أسهل من قبل. لقد تغيّرت أشياء كثيرة مع موجة العولمة التي تجتاح العالم. فقد اكتسحت مجتمعنا قيم المادية والحياة الفردية، والبحث عن الرّيح السّريع، على حساب كرامة الإنسان وحرمة الجسدية والنفسية، وعلى حساب سلامة البيئة، بشكل زاد أوضاعنا سوءا. وتراجعت قيم الأخوة والعدل ونكران الذات. ومما يضاعف من سلبيات هذا الوضع، حالة التّصحر الثقافي والفكري التي تسود مجتمعنا. لقد طغت قيم المادة وحبّ المال والأثنية على حساب عمقنا الروحي. بفعل هذه التحوّلات، ولم يعد الإنسان هو محور الكون في عالمنا، وهو ما أدّى إلى تغيّر خطير، من حضارة بنيت على خدمة الإنسان والحفاظ على كرامته، إلى حضارة تنتج الدمار. كما تراجعت العلوم الإنسانية أمام سطوة علوم الفيزياء والبيولوجيا. لم يعد إسعاد الإنسان هو الهدف والغاية، فارتفعت بذلك حدّة القلق الإنساني، وتسارعت وتيرة الحياة بشكل غير مسبوق، واختلّ التوازن النفسي، وتراجعت الصّحة النفسية للبشر.

لقد آن الأوان، لأن نعيد النّظر في نسق حياتنا وسلّم أولوياتنا، بأن نضع سعادة الإنسان وصحّته، بمفهومها الشّامل، في صدارة أولوياتنا، ومحور اهتماماتنا، ونجعل ذلك هدف تفكيرنا وغاية بحثنا: خدمة الإنسان وإسعاده، في مختلف الأبعاد المادية والبيولوجية والمعرفية والنفسية والروحية. يجب أن تعالج حاجات الإنسان بشكل شامل ومتكامل، وغير مجزأ. ترى، ما هي مكانة الأخلاق في حياة الإنسان اليوم؟ نحن نرى أنّ للعلوم النفسية مكانة حاسمة في مستقبل الإنسان. كلّ المعارف النفسية التي تغذت من تخصصات عديدة، قادرة على إخراج الإنسان من معاناته، وعلى إبعاده. لقد أثبت العلاج النفسي، بما توقّره التقنيات الحديثة، فعاليته في معالجة كثير من الإضطرابات النفسية والمخلفات السلبية التي تتركها مصاعب الحياة.

إن رسالة مركز "بلسم" والهدف من إنشائه، هو نشر وترسيخ ثقافة جديدة في مجتمعنا، تعتمد على معرفة نفسية صلبة ومؤكدة. فمجتمعنا مازال جد فقير إلى هذه الثقافة. يكفي أن نلقي نظرة على برامج القنوات التلفزيونية وكيفية تناولها للإنسان وللأسرة، لتتأكد من صحة ما نقول.

يهدف مركز "بلسم" إلى القيام بعمل واقعي، يستشرف الأزمات والإضطرابات النفسية التي تحصل في الفرد وفي الأسرة. ولتحقيق ذلك، نحتاج إلى تكوين متخصص لأعوان الصحة، ليستطيعوا معالجة هذه الحالات. لقد أثبت العلاج النفسي جدواه وأهميته. فتوفير الدواء للمصاب، لا يكفي وحده، ومن الضروري معالجة الأسباب العميقة لهذه الإضطرابات والأزمات النفسية.

إن مركز علاج آثار الصدمات النفسية، يلبي حاجة ماسة في مجتمعنا، نظرا لما عرفه من عنف وتعذيب، وصددمات نفسية خطيرة، تركت آثارها في الحياة النفسية للمواطن. لقد كان العنف منتوعا. هناك عنف مارسه الإنسان على نفسه. أليس التلوث شكلا من أشكال هذا العنف؟ سواء قامت به مؤسسات أو أفراد؟ ألا تمثل السموم المبتوثة في الهواء، والتي يستنشقها الإنسان، صورة لهذا العنف الذي يهدد نقاء هذا الكون وسلامته؟ أليست مظاهر الإدمان على الكحول والمخدرات، والإفراط في السرعة في الطريق، ومظاهر أخرى كثيرة مماثلة، عنفا يمارسه الإنسان على نفسه وعلى البيئة؟ لقد امتد هذا العنف إلى العلاقات الإنسانية، بدءا بمؤسسة الزواج والأسرة، سواء من خلال العنف اللفظي أو المادي والجسدي، ما يؤدي إلى انهيار الأسر. وما العنف الذي يمارس على الأطفال، سواء بالتخلي عنهم، أو تعنيفهم، إلا نتيجة لعنف آخر سبقه. فكثيرا ما تقع معالجة الخلافات العائلية بسلوك عنيف، غالبا ما يكون ضحيته الطفل.

هذا العنف الذي يعيشه الفرد، يمتد إلى المجتمع الذي يعيش فيه: المدرسة، والشارع ومكان العمل، وغير ذلك من مؤسسات المجتمع. وهو يعزز عنف الدولة ويساعد في قبول المجتمع به. فتمارس الدولة على مواطنيها مختلف أشكال العنف والتعذيب، لإخضاعهم لنفوذها. ويأتي بعد ذلك دور وسائل الإعلام، لتطبع علاقتنا بالعنف. فيتحوّل إلى مادة يومية تقدّمها لجمهورها. هذه الممارسات والمشاهد العنيفة، تتراكم دون أن تلقى علاجاً، وتخترنها ذاكرتنا بكلّ حمولتها. فتتطور آثارها النفسية، وتصبح خطيرة ومعقدة.

مركز "بلسم" لعلاج آثار العنف والصددمات النفسية، يحدّد مهمته في فهم أشكال وآثار هذه الحالات، وتفكيك أسبابها العميقة، وبحث الوسائل الممكنة لمعالجة ضحاياها، ضحايا مختلف أشكال العنف: برعايتهم والتكفل بهم طبيا ونفسيا اجتماعيا وقضائيا. فهو يقوم بتدخل متعدد الاختصاصات، لضمان علاج فعال للضحايا. ويعتزم المركز أن يقوم بهذا الدور من خلال شبكة تضم مختلف المتدخلين، في مجالات الصحة، وجمعيات المجتمع المدني المهتمّة بهذا المجال، ورجال القضاء من محامين وقضاة، وغيرهم.

يمكن تلخيص أهداف المركز فيما يلي:

- التكفل بمعالجة ضحايا العنف، في مختلف صورته وأشكاله، وصدّماته بمن فيهم الذين مارسوه، لأنهم في الحقيقة يحتاجون إلى تكفل او علاج وتاهيل ويكون التكفل به طبيًا ونفسيا واجتماعيا وقضائيا.
- مرافقة الضحايا في الإجراءات التي يتطلّبها استرداد حقوقهم.
- القيام بدور إعلامي وتحسيبي وتكويني (تربوي ونفسي) للعاملين في المؤسسات المعرّضين أكثر من غيرهم للعنف والصدّات النفسية.
- تطوير البحوث والتجارب المتعلقة بمجال علاج آثار العنف والصدّات النفسية.

طريقة عمل المركز:

يسعى المركز الى انشاء الوحدات التالية:

وحدة الخبرات

وهي تضمّ أخصائيين في الطب النفس وعلم النفس السريري .وتتولّى هذه الوحدة تطوير الخبرات والتجارب، وإجراء التحاليل والإختبارات المدنية والجنائية التي تحتاج إليها الهيئات المختصة.

- وحدة الكفالة

وهي تتكفل بما يحتاج إليه الضحايا من علاج طبي ونفسي وسريري، وكذلك الكفالة الإجتماعية، من خلال التعاون مع الجمعيات والهيئات المختصة، بحسب ما تقتضيه حالة الضحية، وبما تسمح به الإمكانيات المتوفرة. سيعمل المركز على تخصيص مكانة خاصة للأطفال والمراهقين من الضحايا، وتوفير ما تحتاج إليه حالاتهم من معالجين مختصين.

كما سيعمل المركز على توفير مختصين في متابعة أسر الضحايا، وما تحتاج إليه هذه الأسر من رعاية نفسية.

- وحدة العلاج النفسي الإستعجالي

سيعمل المركز على تطوير خلية متخصصة في العلاج النفسي الإستعجالي، تتدخل في حالة حصول أحداث تخلف صدمات خطيرة، مثل الزلازل والكوارث وما شابه. يتولّى تدريب عناصر هذه الخلية مختصون في العلاج الإستعجالي النفسي.

- وحدة التكوين والبحوث:

يعتبر علاج آثار العنف والصدمات النفسية، تخصصّ علاجي حديث لا يزيد عمره عن خمسة وعشرين عاما .وقد تطوّرت حولها تخصصات أخرى، مثل علم نفس الصدمات، وعلم الضحايا. وهي تخصصات تحتاج إلى كثير من الجهود البحثية والخبرات والتجارب. ويحتاج العاملون فيها، أكثر من غيرهم، إلى تطوير مهاراتهم وإثراء خبراتهم. وهي فرصة لأن يكون للمركز دور ريادي في هذا التخصص، الذي مازال يحتاج إلى التطوير، خصوصا في البلاد العربية.

فهو يحتاج إلى إنشاء شبكة من المختصين فيه، من البلاد العربية، ومختلف دول العالم، لتبادل البحوث والخبرات، ونشرها وتعميم فائدتها.

- وحدة علم الضحايا:

توكل إلى هذه الوحدة مهمة تطوير هذا التخصص، لتكوين مركز لعلم الضحايا، يتولّى القيام بالبحوث والإختبارات والتحليل التي من شأنها تطوير هذا التخصص، وتطوير مهارات العاملين فيه.

سيعمل المركز على مصطلح " الضحية " : الأسباب وشخصية الضحية، وشخصية المعتدي، حقوقالضحايا، واختبار الضحايا والتكفل بهم وتوقع الضحايا القادمين.

هذه الوحدة تضمّ أطباء نفسيين وخبراء وقضاة ومحامين وجمعيات الدفاع عن الضحايا. ففي المجتمع أشخاص أكثر عرضة من غيرهم للإعتداءات والصدمات، مثل الأطفال والنساء والمسنين والمعاقين. هؤلاء يحتاجون أكثر من سواهم، إلى التحسيس بهذه الإعتداءات والحماية منها، وكذلك لإعلام السياسيين وأصحاب القرار، وعموم المواطنين، بهدف حماية أكبر عدد ممكن من هذه الإعتداءات والصدمات.

إدارة المركز

للمركز صفة مركز طبي متخصص يعمل في المجال الحر ولكنه غير ربحي ويدار من طرف الجمعية التونسية لرعاية ضحايا العنف و الصدمات النفسية .ورغم أنّ القانون المنظم للمراكز الصحية المتخصصة، لم يذكر

تخصّص العلاج النفسي، لكنه لا يمكن أن يستثنيه. غير أنّ التشريع بحاجة إلى تطوير، لتسهيل فتح مراكز علاج تشمل تخصصات أخرى للعلاج الطبي، وخصوصا منها المراكز متعدّدة التدخلات المتخصصة، لنفس المريض، مثل علاج أمراض الشيخوخة، وتعاطي المخدرات. تتولّى تسيير المركز هيئة تضمّ أطباء نفسيين وأطباء العلاج النفسي السريري، . تكون مكافأة كلّ متدخّل، بحسب عملية تدخّله، إلّا الكاتبة والمدير فسيكونان متفرّغان للمركز .

كيفية اختيار الضحايا

يعالج المركز ضحايا العنف والصدمات النفسية، من مختلف الأعمار، سواء كان شخصا عاديا، أو عون حراسة أو عون أمن أو غير ذلك من الضحايا. ويكون ذلك بتوجيه من الأطباء المباشرين، سواء في العيادات الخاصة، أو في المستشفيات، أو الإدارات أو الشركات .

وسيتولّى صندوق التأمين على المرض، وشركات التأمين، التعاون مع المركز، بناء على اتفاقيات في الغرض. كما يمكن التعاون بهذا الخصوص مع هيئات ومؤسسات أخرى مهنية، بحاجة إلى الرعاية النفسية، لمواجهة آثار العنف والصدمات النفسية.

الخلاصة

إنّ مركز علاج آثار العنف والصدمات النفسية، بادرة تعتبر الأولى من نوعها في البلاد العربية. ومنطقتنا بأشدّ الحاجة إلى هذا المركز، نظرا لأحداث العنف الخطيرة التي يشهدها العالم العربي. فآثار هذا العنف، تحتاج إلى علاج متخصص، نظرا لمخاطره على ضحاياه، وما أكثرهم. فآثار العنف والصدمات النفسية، وما تخلفه آلة العنف من دمار في ضحاياها، خطيرة، خصوصا وأنّ هذه الآثار تنتقل من جيل إلى جيل. سواء داخل الأسرة، أو من خلال العلاقات الإجتماعية المتشابكة.

نحن بحاجة ملحة وعاجلة، إلى أن نعي بمخاطر هذا الوضع، وإلى تثبيت مؤسسات علاجية تليق به، وقد تأخّر وجودها كثيرا.

هذه مهمّة السياسيين والمفكرين والمنقّفين والمبدعين وأصحاب الرأي والأطباء والصحفيين والحقوقيين والمربين والفنانين، وكلّ الفاعلين في المجتمع، لأن يوعّوا بخطورة الوضع الذي نعيش، وبمخاطر العنف والتعذيب والصدمات النفسية، لمحاربة العنف ومعالجة آثاره، ولنشر قيم التسامح والتعايش. كما أنّ هؤلاء جميعا، مدعوون إلى معالجة الضحايا، كلّ في مجال تخصصه، لنخلّص بلادنا من آثارها السلبية، ولننشر هذه الثقافة حولنا، لعلنا نسهم في الإرتقاء بمجتمعاتنا، وعالمنا، إلى ما يرنو إليه الإنسان، من سلم وتعاون ورفاه.

** ** * *

لرابطات ذات صلة

الجمعية التونسية لرعاية ضحايا العنف والصدمات النفسية

القانون الأساسي

<http://www.arabpsynet.com/Associations/PsyTT/PsyTT-Statut.pdf>